معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس جوامع الأخبار

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (31)

التاريخ: الاثنين 25/جمادى الأولى/1441 هـ

20/كانون الثاني/2020 م

شرحُ الأحاديث: (٧٩، ٨٠)

- ◊ ملخص الدرس:

✿ الحديثُ (٧٩):عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» متفق عليه:البخاري(٩) ومسلم (٣٥) واللفظ لمسلم.

◆فيه دليل على تعريف الإيمان وأنه: "اعتقاد وقول وعمل ويزيد وينقص".

◆قوله "الإيمان" تشمل الإسلام والإيمان، أي الأعمال الظاهرة والباطنة، فهذا لفظ شامل للدين كله.

◆قوله "بِضْعٌ وَسَبْعُون" قد استقرأها بعض العلماء فوجدوها تسعا وسبعين شعبة.

◆قوله "شُعْبَةٌ" دليل أن الإيمان شعب أي أجزاء ودرجات وليس جزءا واحدا كما تقول المرجئة والخوارج.

◆قوله "فَأَفْضَلُهَا" و "وَأَدْنَاهَا" دليل على أن الإيمان يتفاضل أي يزيد وينقص.

◆قوله "قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" أي قول القلب وقول اللسان، وقول القلب هو تصديقه، وقول اللسان هو نطقه. وهذا فيه دليل على أن اعتقاد القلب وقول اللسان من الإيمان.

وفيه التصريح بفضل التوحيد وأنه بأعلى المراتب.

◆قوله "وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» فيه أن الأعمال الظاهرة بالجوارح من الإيمان وأنها تتفاضل، خلافا للمرجئة.

وفيه إشارة إلى أن ما فوق هذا العمل القليل من أعمال الجوارح داخل في الإيمان من باب أولى.

◆قوله: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»: فيه دليل على أن اعتقاد القلب من الإيمان، وأنه

يزيد وينقص؛ لأن الحياء عمل قلبي في أصله، ويزيد وينقص من حال لحال ومن شخص لآخر.

وفيه إشارة إلى فضل خلق الحياء.

✿ الحديثُ (٨٠): عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يجد فبكلمة طيبة». متفق عليه.

◆ هذا الحديث اشتمل على جملة من أمور الغيب التي ستقع يوم القيامة.

◆فيه إثبات الرؤية، وصفة الكلام لله تبارك وتعالى.

◆وفيه العرض على الله المشتمل على الحساب اليسير وهو النجوى والتقرير، وعلى الحساب العسير وهو النقاش والتقريع.

◆وفيه الإرشاد إلى كثرة طرق الخير المنجية من النار.. والحث على إكثار العمل ولو كان حقيرا في نظرك... وفيه التحذير من ظلم العباد ولو في شيء قليل جدا... وفيه الحرص على كثرة العمل الصالح المقبول عند الله، فلا ينفع الإنسان عندما يلقى ربه إلا العمل الصالح المتقبل؛ وهذا له شروطه المعلومة... وأن من أفضل الأعمال: الصدقات والكلمات الطيبات؛ ومنها ذكر الله بأنواعه الكثيرة المتعددة، وحسن العشرة مع الناس بلين الكلام معهم والنصح لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر... كل ذلك من الكلمة الطيبة.

الدرس الحادي والثلاثون من شرح "جوامع الأخبار"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو **الدرس الحادي والثلاثون** من دروس شرح "**جوامع الأخبار**"، وفيه شرح الأحاديث (٧٩، ٨٠)..

«شرح الحديث التاسع والسبعين»

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، [أعلاها] قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» متفق عليه[1]

هذا حديث عظيم جامع لعدة جوانب:

- فاشتمل على جانب العقيدة وفيه تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.
- واشتمل على جانب التوحيد، وفيه أن التوحيد أعلى خصال الإيمان، وسنذكر المعنى الصحيح لكلمة التوحيد عند أهل السنة والجماعة.
- والحديث من جوامع الكلم، فاشتمل الحديث على ثلاث جمل جامعة من جوامع كلامه ﷺ، ولذلك ساقه المؤلف في كتابه هذا.

الجملة الأولى؛ قوله: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةِ**"..

1- أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥-٨٥)، واللفظ لمسلم، إلا أن فيه (فأفضلها) بدل (أعلاها).

شملت هذه الجملة الدين كله؛ الإسلام والإيمان؛ لأن لفظي "**الإيمان**" و "**الإسلام**" من الألفاظ التي:

- إذا اجتمعَت افترقَت
- وإذا افترقَت اجتمعَت،

أي:

- إذا اجتمعَت ألفاظُها افترقَت معانيها،
- وإذا افترقَت ألفاظُها اجتمعَت معانيها.

فمثلاً:

في حديث جبريل عليه السلام المعروف؛ سأل عن الإسلام والإيمان، فاجتمعَت ألفاظها في سياقٍ واحد وافترقَت معانيها، أي **دلّ الإسلام على الأعمال الظاهرة، ودلّ الإيمان على الأعمال الباطنة في ذلكم الحديث**.

أمّا في هذا الحديث فقد افترَق هذان اللفظان، فقد ذُكِر لفظ "**الإيمان**" وحده كما ترى، وإذا ذُكِر أحد اللفظين وحده تناول الآخر، أي أنّ قولَه "**الإيمان**" يشمل الإسلام والإيمان، أي يشمل الدين كله الإسلام والإيمان والإحسان، أصوله وفروعه. هذا وجه الشمول في هذه الجملة، وأنها من جوامع الكلام.

فدخل في هذه الجملة كل ما يحبه الله ويرضاه مِن أعمال القلب واللسان والجوارح، أي من الاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فدلَّ منطوقها أنّ كل طاعة شعبة من شُعَب الإيمان، ودلّ مفهومها أنّ كل معصية شعبة من شُعَب الكُفر.

فهذه جملة عظيمة جداً اشتملَت على الدين كله بألفاظ معدودة.

- وقوله (الإيمان):

الإيمان في اللغة: هو التصديق،

مثاله: قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[1]، أي وما أنت بمُصَدِّقِنا ولو كنا من أهل الصدق.

والإيمان الشرعي - أي في الشرع - هو: **(اعتقاد وقول وعمل ويزيد وينقص)**، أجمع أهل السنة والجماعة على هذا التعريف للإيمان، وخالَفَهم أهل البدع[2].

ومعناه أنّ **الإيمان اعتقاد القلب، وقول القلب واللسان، وعمل الجوارح، ويزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.**

وأفاد هذا التعريف أنّ الاعتقاد أصل الإيمان، وأنه يزيد وينقص في القلب. وأنّ الأقوال والأعمال الظاهرة رُكنٌ في مُسَمّى الإيمان، وأنه يزيد الإيمان بها إنْ كانت من الطاعة، وينقص بها إنْ كانت من المعصية، وأنّ هذه الثلاثة لا يُغْني واحدٌ منها عن الآخر، أي لا يصحّ الإيمان إلا باجتماعها؛ وهي الاعتقاد والقول والعمل.

وخالَف المرجئة فقالوا: إن الأعمال الظاهرة ليست من الإيمان، وأن الإيمان في القلب فقط، وهذا باطل. وبناءً على قولهم هذا قالوا أيضاً: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن الزيادة والنقصان متعلقة بأعمال الجوارح، وهي ليست من الإيمان عندهم.

وبناءً على هذا قالوا: إنّ إيمان أفسق الناس مثل إيمان الأنبياء والملائكة!؛ لأنه لا يضرّ مع الإيمان ذنب عندهم! وهذا ضلال مبين.

أمّا الخوارج فقالوا إنّ العمل من الإيمان، لكنه عندهم جزء واحد فلا يزيد ولا ينقص، فإذا ذهب بعضُه ذهب كله، فكفَّروا بالكبيرة، وهذا ضلال مبين أيضاً.

وهذا الحديث يُبطل قول الفريقين:

لأنه يدل على أنّ العمل من الإيمان، وأنّ الإيمان شُعَب - أي أجزاء ودرجات - وهذا يدل أنه يزيد وينقص.

1- [يوسف: ١٧]

2- الإيمان عند الخوارج: اعتقادٌ وقولٌ وعمل ولا يزيد ولا ينقص.

والإيمان عند عامّة المرجئة: اعتقادٌ وقولٌ فقط ولا يزيد ولا ينقص.

وتمّ شرح هذه التعريفات في شرح أصول السنة للإمام أحمد ولله الحمد.

▪قوله: "بِضْع":

بكسر الباء، (البِضْعُ) و(البِضْعَةُ) بكسر الباء تُستعمَل في العدد، وهي من ثلاث إلى تسع، وقيل غير ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[1].

أما (البَضْع) و(البَضْعة) بالفتح، فهي القطعة من الشيء، قال النبي ﷺ: "فاطمة بَضْعة مني"[2] أي قطعة مني.

وسُمّيَت البضاعة بضاعة لأنها قطعة من المال تُجعَل في التجارة.[3]

▪قوله: "سبعون أو بضع وستون"

الشكّ من أحد الرواة، وقد عَدَّها بعض أهل العلم فكانت تسعاً وسبعين شعبة، عدَّها ابن حبان في "صحيحه"[4]، وصنَّف فيها البيهقي مُصنَّفاً مستقِلاً هو "**شُعَب الإيمان**".

• قوله: "شعبة":

هي القطعة والفِرقة، وجمْعُها شُعَب، ومنه شُعَبُ الشجرة: أي أغصانها. فالمقصود بـ (**شُعَبِ الإيمان**) خصاله، أي أُصولُه وفروعه، شبَّهها بأصول الشجرة وفروعها وشُعَبِها.

ودل هذا التشبيه أنّ شُعَب الإيمان داخلة في مُسَمّى الإيمان كما تدخل الأغصان في مُسَمّى الشجرة.

والمراد أنّ هذه الجملة "بضع وسبعون شعبة" فيها دليلٌ على أنّ الإيمان يتجزّأ، وبما أنه يتجزّأ فإنه يزيد وينقص، وهذا فيه ردٌّ على الخوارج والمرجئة، لأنهم اتفقوا على أنّ الإيمان لا يتجزّأ ولا يزيد ولا ينقص.

1- [يوسف: ٤٢]

2- البخاري(٣٧١٤، ٣٧٢٩، ٣٧٦٧، ٥٢٣٠) مسلم (٢٤٤٩).

3- انظر "مقاييس اللغة" (١/ ٢٥٦).

4- انظر "صحيح ابن حبّان: (١/ ٣٨٦ حديث ٨٧).

ثم اختلَفوا في حُكم العاصي:

- فالخوارج قالوا: إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، لأنه جزءٌ واحد فكفَّروا بالكبائر.

- والمرجئة قالوا: إذا بقي أصل الإيمان بقي كله، لأنه جزءٌ واحد. والأعمال ليست من الإيمان عندهم، فلا يضرّ مع الإيمان ذنبٌ وكلاهما على ضلال، والحق عند أهل السنة والجماعة، فقالوا: الإيمان يتجزّأ، بدليل هذا الحديث: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة**" وغيره من الأدلة.

فإذا ذهب جزء من الإيمان، نقص الإيمان، ولا يَخرُج العاصي من الملة.

ولذلك قال أهل السنة: لا يكفر أحدٌ بترْك عمل من الأعمال الظاهرة، إلا الصلاة؛ وفيها بينهم خلاف بينهم كما هو معلوم.

◈ الجملة الثانية، قال: "**أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**"، ولفظ مسلم "فأفضلها قول لا إله الا الله"[1]

وهذه الجملة فيها أدلة على عدة مسائل:

¤ فيها دليل على أنّ الإيمان يزيد وينقص.

¤ وفيها دليل على أنّ الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعمل.

¤ وفيها دليل على أنّ رأس الأمر التوحيد.

وتفصيل ذلك كالآتي:

¤ أما الدليل على أنّ الإيمان يزيد وينقص فهو قوله: "**فأفضلها**" وقوله: "**وأدناها**":

هذا يدل على أن الإيمان يتفاضل من حيث نوع العمل، ويتفاوت من شخص لآخر، ويتفاوت عند الشخص الواحد من حالٍ لحال.

فنوع العمل يتفاضل، وهذا واضحٌ لا خفاء فيه، فإنّ ثواب (**لا إله إلا الله**) أعظم من ثواب (**إماطة الأذى عن الطريق**)؛ وإنْ كانت إماطة الأذى عن الطريق صدقة كما قال ﷺ:«...، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[2].

1- وردت كلمة "أعلاها" عند ابن حبان (١٩١) ووردت كلمة "أرفعها" أيضاً خارج الصحيح، وكلها بمعنى واحد.

2- أخرجه مسلم (١٠٠٩).

ولكنّ أعلاها منزلة التوحيد فلا تدانيها منزلة، وهكذا سائر الشُّعَب تتفاضل كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شُعَب الإيمان، وكلها أفضل من إماطة الأذى عن الطريق وما كان في حكمها.

وأيضاً: الشخص الواحد يَقِلُّ إيمانه عند ارتكاب المعصية، ويزداد إيمانه عند الطاعة، قال ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ».[1].

والمراد: أن هذه الجملة من جملة الأدلة الكثيرة الدالة على أن الإيمان يزيد وينقص، خلافاً للخوارج والمرجئة.

¤ وفيها دليل على أنّ الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعمل:

وذلك في قوله "**قول لا إله إلا الله**":

أي قول القلب وقول اللسان، لأن:

- قول القلب تصديقه بها؛ وهذا اعتقاد،
- وقول اللسان نطقه بها؛ وهذا قول،
- وأمّا العمل ففي قوله "إماطة الأذى عن الطريق"، هذا عمل الجوارح.

إذن؛ فقوله ﷺ: "**قول لا إله إلا الله**" تتضمن قول القلب وقول اللسان، لذلك لا يصِحّ إسلام العبد إلا بعد أن يقولها بلسانه، وأن يُصدّق بها بقلبه، وأن يُحقق شروطها الثمانية وهي:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألّها

والناس ينقسمون مع (**لا إله إلا الله**) إلى أربعة أصناف:

1- متفق عليه عن أبي هريرة: أخرجه البخاري: (٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠) ومسلم (٥٧). وأخرجه البخاري عن ابن عباس: (٦٧٨٢).

١- من امتنع عن قولها وهو قادرٌ على قولها فهو كافر، ولو صدَّق بها بقلبه؛ يجب أن يقولها بلسانه، مثاله أبو طالب.

٢- ومن قالها بلسانه من غير تصديق بها فهو منافق، مثاله المنافقون في المدينة.

٣- ومن اعتقدها وقالها، ثم وقع فيما ينقضها فهو مشرك شركاً أكبر؛ لأنه نقضها، مثاله عباد القبور؛ كأن يستغيث بغير الله ويدعو غير الله، ويذبح لغير الله، وينذر لغير الله، فهذا آمَنَ ونقض إيمانه فهو مشرك كافر.

٤- أمّا المؤمن: فهو من اعتقدها وقالها وعمل بمقتضاها، ولم يقع في شيء من نواقضها. فإنْ وقع في الشرك الأصغر، أو في بدعة غير مُكَفِّرة، أو في معصية، فإنه ينقص من إيمانه بحسب ذلك، حتى لا يبقى إلا مقدار حبة خردل كما جاء في السنة الصحيحة.

¤ وفي هذه الجملة دليل على أنّ رأس الأمر التوحيد:

وهو قوله: "**فأفضلها لا إله إلا الله**":

التوحيد- كما تعلمون- فضله عظيم، فلا يدخل الجنة إلا موحِّد، ومن فضائله أن الموحِّد إنْ دخل النار فلا يخلد فيها مهما ارتكَبَ من الذنوب، والمشرك حرَّم اللهُ عليه الجنة، وهو خالد مُخَلَّد في النار والعياذ بالله.

وأمّا معنى (**لا إله إلا الله**) فهو: (**لا معبودَ حقٌّ إلا الله**): هذا تفسيرها الصحيح، وما سواه معانٍ قاصرة، فقيل معناها: (لا خالق إلا الله)، وقيل: (لا حاكم إلا الله)، وقيل: (لا موجود إلا الله).

وهذه كلها قاصرة لا تشتمل على توحيد الألوهية الذي هو أساس الملة، ورسالة جميع الرسل.

وأما تفسيرها بأنها (لا معبود إلا الله) فقاصر أيضا لأنه لا يُفرِد الله بتوحيد الألوهية، وأيضا دل الواقع أن المعبودات دون الله كثيرة.

والدليل على أنّ معناها (لا معبودَ حقٌّ إلا الله) قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[1].

قوله ﴿هو الحق﴾ أي هو المعبود الحق، وهذا فيه إفراد الله بالألوهية؛ وهذه هي حقيقة التوحيد.[2]

واشتملت هذه الكلمة الطيبة - كلمة التوحيد - على توحيد الألوهية، المتضَمِّن توحيد الربوبية، واشتملت على توحيد الأسماء والصفات. فاشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة.

واشتملت هذه الكلمة الطيبة أيضاً على ركني التوحيد وهما: (النفي والإثبات المفيدان للحصر) في قوله "**لا إله إلا الله**".

(النفي) في قوله "**لا إله**" وهو الكفر بالطاغوت، و(الإثبات): في قوله "**إلا الله**" وهو الإيمان بالله، فأفاد هذان الركنان الحصر، ودليل ركني التوحيد قوله تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦] والآيات كثيرة بهذا المعنى.

وقوله "**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**":

تقدم الاستدلال بها على أنّ العمل من الإيمان، وعلى أنّ الإيمان يتفاضل من حيث نوع العمل.

ونزيد هنا فنقول: إذا كان هذا العمل القليل يعد من خصال الإيمان؛ فما فوقه من الأعمال داخل في الإيمان من باب أولى، فهذا فيه دليل على أن جميع أعمال الجوارح الظاهرة من الإيمان، خلافاً للمُرجِئة.

- الجملة الثالثة: "**والحياء شعبة من الإيمان**"

أ. فيها دليل على أنّ الاعتقاد من الإيمان.

1- [الحج: ٦٢]

2- ومثل هذه الآية: آيات لقمان (٣٠)، والحج(٦)، والنور(٢٥).

ب. وفيها دليل على أنّ الإيمان يزيد وينقص.

ج. وفيها بيان منزلة الحياء في الإسلام.

أ- فيها دليل أنّ الاعتقاد من الإيمان:

لأن الحياء عمل قلبي في أصله، ثم تظهر آثاره على الجوارح، بالأقوال والأفعال.

فالحياء خَصْلةٌ يتَّصف بها القلب، إمّا جِبِلَّةً أو اكتساباً، هذه الخَصلة تحمل على ترك المعاصي والقبائح، وتحمل على فعل الطاعات ومحاسن الأخلاق.

والحياء نوعان:

- حياءٌ من الله،
- وحياءٌ من الناس.

فالحياء من الله يحمل على طاعته، وعلى الإحسان في عبادته، وعلى ترك معصيته، والحياء من الناس يحمله على فعل الحسن وترك القبيح، وهذه أعمال صالحة إذا صوب النية.

فإذا تَحلّى المسلم بالحياء تقرُّباً إلى الله فإنّ حياءه يكون شعبة من شُعب الإيمان.

ب- وفي هذه الجملة دليل على أنّ الإيمان يزيد وينقص:

لأن الحياء يزيد وينقص في قلب العبد من حالٍ إلى حال، ومن شخص لآخر من حيث السلوك والأفعال.

وكلما ازداد العبد حياءً ازداد إيماناً، وإذا نَقَصَ حياؤه نَقَصَ إيمانه، فيرتكب القبائح والمُحرَّمات، لأنه لا يستحيي من الله ولا من عباد الله.

ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»[1]

وفيه: أنّ الحياء مانِعٌ مِن كلّ شرّ.

ج- وفي هذه الجملة بيان منزلة الحياء في الإسلام:

1- البخاري (٣٤٨٣، ٦١٢٠).

وذلك أنه اختَصَّه بالذِكر من بين خصال الإيمان وشُعَبه الكثيرة، هذا لأنه باعث قوي على الطاعة، وعلى مكارم الأخلاق.

فالحياء نوعان كما تقدم:

حياء من الله، وحياء من الناس:

الحياء من الله يجعله يستحي أن يراه الله على معصيته، ويجعله يستحي أن يُقَصِّر في العبادة، بل يكون حياؤه حافزاً على إحسان العبادة.

وهذه هي درجة الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك، وقال ﷺ: "اعبد الله كأنك تراه"[1]،

وهاتان هما: مرتبة المشاهدة، ومرتبة المراقَبة.

وبهذا نرى أنّ الحياء من أسباب تكميل الإيمان والارتقاء فيه إلى درجة الإحسان، ولذلك قال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا"[2].

فحُسن الخُلق من أسباب تكميل الإيمان، والحياء جامِعٌ من حُسن الخُلق، قال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"[3]،

فكثير من الفواحش والكبائر سببها قلة الحياء.

وبعد... فهذا حديث عظيم: فيه بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من الفوائد: أنّه يحث على الارتقاء في الإيمان، والعمل على زيادته، والاستكثار من شُعَبه الكثيرة التي تعود أصولها إلى تسعٍ وسبعين شُعبة، وقد ذكَرها البيهقي في مُصَنَّفٍ مُستَقِل هو "**شُعَب الإيمان**".

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه "**البهجة**":

1- أخرجه أحمد (٦١٥٦)، والنسائي في الكبرى (١١٨٠٣).

2- أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢).

3- البخاري (٦١١٧) مسلم (٣٧).

(ونصيب العبد من الإيمان بقدر نصيبه من هذه الخصال، قلة وكثرة، وقوة وضعفا، وتكميلا وضده. وهي ترجع إلى تصديق خبر الله وخبر رسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما) انتهى.

فهذه وصية عظيمة، وفائدة نفيسة، أخَذَها الشيخ رحمه الله من هذا الحديث، والمراد منها الحث على الاستكثار من خصال الإيمان والارتقاء فيه إلى درجة الإحسان.

﴿شرح الحديث الثمانين﴾

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يجد فبكلمة طيبة» متفق عليه.[1]

هذا حديثٌ عظيم، فيه ذِكْرُ بعض أمور الغيب المهمة التي ستقع يوم القيامة، فمن ذلك:

أنّ كل واحد مِنّا سوف يلقى ربَّه يوم القيامة، ستلقاه وحدَك مُجَرَّداً من كل شيء، فلا تملك شيئاً إلا عملك، ستلقى ربَّك بعملك فقط، ستراه سبحانه، وستكلِّمه ويكلِّمك وتُعرَض عليه لا يخفى عليه منك شيء، ويحاسبك، فلا يجد العبد يومئذ إلا ما قدَّم من عمل، فإن كان العمل صالحاً فالجنة، وإلا فالنار والعياذ بالله.

ولذلك حذَّرَنا نبينا ﷺ من النار، وأرشَدَنا إلى ما يقي منها، فأرشَدَ إلى الكَفِّ عن الظلم، وإلى الصدقة ولو باليسير، ولو بكلمة طيبة.

فهذا حديث عظيم جامع لمسائل كثيرة عظيمة، منها؛

١- إثبات الرؤية:

أي رؤية الله في الآخرة؛ رؤية حقيقية بصرية، نؤمن بذلك خلافاً للمعطلة الجهمية والمعتزلة.

٢- إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى:

الله يتكلم بكلامٍ حقيقي بحرف وصوت، يكلم عباده ويكلمونه ويسمعهم ويسمعونه، ليس بينه وبينهم حجاب ولا ترجمان.

1- أخرجه البخاري (٦٥٣٩، ٧٤٤٣، ٧٥١٢، ١٤١٣، ٣٥٩٥) ومسلم (١٠١٦).

٣- إثبات العرض على الله:

وفيه الحساب العسير، والحساب اليسير وهو النجوى مع المؤمن.

يحاسِب جميع خلْقِه سبحانه كنفسٍ واحدة في ساعةٍ واحدة، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَّ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[2]، يحاسب الله العباد في ساعة واحدة، كما يرزقهم في ساعة واحدة، كما يخلقهم في ساعة واحدة.

٤- وفيه بيان كثرة طرق الخير: وهي طرق للنجاة من النار والاستكثار من الخير، فقد أرشَد الرسول ﷺ إليها بعبارةٍ موجزة، فذكر منها:

- التحذير من ظُلْم العباد ولو في شِقّ تمرة.
- والتحريض على الصدقة ولو بشِقّ تمرة.
- أو بكلمة طيبة، و"**الكلمة الطيبة**" لفظ جامع كما سيأتي.

وهذه الأمور الثلاثة من الإحسان إلى الخَلق.

هذا شرحٌ مُجْمَلٌ لِما احتواه هذا الحديث، وإليكم الشرح مُفَصلاً...

◆ قوله ﷺ: "**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه**":

ظاهِر الخِطاب للصحابة، والمراد عموم الأمة، والمعنى: (كلّكُم سيُكَلِّمه ربُّه)، واستفدنا هذا العموم من قوله: "**مِن أحَدٍ**" فهذه نكرة في سياق النفي، لأن النكرة في سياق النفي تُفيد العموم، وزيدت (مِن) لاستغراق النفي[3]،فالمعنى: لا يُستثنى منكم أحدٌ أبداً[4].

◆ قوله: "**إلا سيكلمه ربه**":

1- [آل عمران: ١٩٩]

2- [الأنعام: ٦٢]

3- انظر: "مرقاة المفاتيح" (٨/ ٣٥٢٤ حديث: ٥٥٥٠)، و"البحر المحيط الثجاج شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج" محمد آدم الإتيوبي (٤١/ ٣٨٢).

4- لأن زيادة (مِن) في الجملة المنفية تفيد النص في العموم، أي لا تحتمل التخصيص، كما يقول الأصوليون، كقوله تعالى: {وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران:٦٢] [ص:٦٥]

• فيه إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى: أجمع أهل السنة والجماعة على أنّ الله يتكلم بما شاء متى شاء، بكلام حقيقي بحرفٍ وصوتٍ مسموع، يكلم عباده ويكلمونه، وكلامه صفته وليس بمخلوق، والقرآن من كلامه وليس بمخلوق.

وأدلة صفة الكلام متواترة كثيرة جداً لا تكاد تُحصى في الكتاب والسنة، وأنكرَها المعطلة: المعتزلة، والجهمية، والأشعرية.

• وفي هذه الجملة: إثبات العرض والحساب: وهو يوم تطاير الصحف، وهو موقف رهيب، وأدلّتُه كثيرةٌ جداً:

- منها قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] أي لا تملكون شيئاً.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[2].

أي: لا تملكون شيئاً.

ثم يبدأ الحساب؛ وهو نوعان: حساب يسير، وحساب عسير:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾[3]

- وقال تعالى: ﴿يَومَئِذ تُعرَضُونَ لَا تَخفَىٰ مِنكُم خَافِيَة (١٨) فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقرَءُواْ كِتَٰبِيَه (١٩)﴾[4]

ثم قال في حال الكافر والمنافق والفاسق:

1- [الكهف: ٤٨]

2- [الأنعام: ٩٤]

3- [الانشقاق]

4- [الحاقة]

﴿ وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ ﴾[1]...

والمراد: أنه جاء لا يملك من ذلك المال والسلطان والجاه والقوة شيئاً، جاء عارياً حافياً وحيداً.

والحساب اليسير: هو النجوى، والتقرير بالذنوب، ثم يغفرها الله له.

والحساب العسير: هو النقاش على رؤوس الأشهاد.

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[2]

فيُناقَش الكافر علانية، قال ﷺ: "**من نوقش الحساب عذب**".

سأل رجلٌ عبدَ الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: كيف سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول في النجوى؟

فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[3]"[4].

حينئذ يقول الكافر والمنافق:

﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ☆ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ☆ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ☆ مَا أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ☆ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾[5]،

1- [الحاقة]

2- [هود: ١٨]

3- [هود: ١٨]

4- متفق عليه، البخاري (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤) ومسلم (٢٧٦٨).

5- [الحاقة: ٢٥-٢٩]

ويقول أيضا: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1]، ثم لا يرى ربَّه بعد ذلك، ولا يُكلِّمه ربُّه ولا ينظر إليه.

قوله: "ليس بينه وبينه تُرجُمان" أو "تَرْجُمان"

كلاهما صواب: أي ليس بين العبد وربّه واسطة ولا مترجِم.

و(التُرجُمان) هو: المُفَسِّر للسان،[2]

الذي يترجِم الكلام، أي ينقله من لغة إلى لغة.[3]

والمراد أنّ الله يكلِّم عبدَه بكلامٍ واضحٍ مُبين مفهوم. ولا يلزم من الكلام الرؤية، ولكن جاء في رواية عند البخاري: (٧٤٤٣) قوله عليه السلام: "ولا حجاب يحجبه": هذه فيها إثبات الرؤية.

وأجمع أهل السنة والجماعة على رؤية الله في الآخرة، رؤية حقيقية بصرية وليست قلبية، وأدلة الرؤية كثيرة.

واختلف العلماء هل يرى الكفارُ اللهَ جلّ وعلا؟

قيل لا يرونه مطلقاً، وقيل يرونه في الموقف يوم الحساب وهو غضبان وهذا الراجح. وهذه رؤية عذاب وليست رؤية تنعم، ثم يُحجَبون عنه ولا يرونه، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4]، فدلت الآية على أنّ الكافر يُحجَب عن ربه فلا يراه، ودلت على أن المؤمن يراه في الجنة[5] رؤية تَنَعُّم، فإنّ رؤية الله أفضل نعيم الجنة على الإطلاق.

قوله: "فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِه".

1- [الكهف:٤٩]

2- "القاموس المحيط"(٤/٨٣).

3- "لسان العرب" (١٢/٦٦).

4- [المطففين: ١٥]

5- قاله مالك والشافعي "مجموع الفتاوى لابن تيمية": (٦/ ٤٩٩).

- قوله: "**ينظر أيمن منه** " أي جهة اليمين،

"**وينظر أشأم منه** " أي جهة الشمال،

و"**ينظر بين يديه**" أي أمامه.

والمراد أنه ليس معه يومئذ إلا عملُه، فيرى عملَه الصالح عن يمينه، ويرى عمله السيء عن شماله، ويرى النار أمامه وفوقها الصراط، ولا بُدّ له من عبوره، ليس له سبيل سوى الصراط، فالنار أمامه مباشرة، يراها رأي العين ولابد له مِن ورودها، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[1]، يعني ورودَها فوق الصراط، ولا يَقي منها إلا العمل الصالح المُتقبَّل، ولذلك حذَّر رسول الله ﷺ في آخر هذا الحديث من النار فقال:

- "**فاتقوا النار**":

أي اتَّخِذوا من الأعمال الصالحة ما يقيكم النار. ثم أرشَد إلى ما يقي منها فقال:

- "**ولو بشق تمرة**":

وهذه الجملة لها تأويلان:

- الأول: أي (اتَّقوا النار، فلا تظلموا أحداً ولو بِشِقّ تمرة).

- الثاني: أي (اتَّقوا النار، فتصدقوا ولو بِشِقّ تمرة).

وكلاهما صحيح لأنه مُحتمَل من حيث اللغة، وإنْ كان الثاني أقوى، لقوله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ»[2]،

والأول صحيح أيضاً، لإنّ غَصْبَ الحقوق يستوجب دخول النار ولو كان شيئاً يسيراً، دل على ذلك حديث أبي أمامة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ

1- [مريم: ٧١]

2- أخرجه مسلم (١٠١٦ - ٦٦).

بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»[1].

قوله "**بيمينه**"

أي بالحلف، يحلف كاذباً، ويغصب الحقوق ولو في شِقِّ تمرة أو عود أراك فيستوجب النار والعياذ بالله، ففيه تحذير من أكل أموال الناس بالباطل، قليلا كان أو كثيرا...

وأمّا الصدقة فإنها تَقي مِن دخول النار، وتُنَجّي مَن دخَلَها فيخرج منها، ولو كانت شيئا يسيرا، ورَد في ذلك نصوص كثيرة.

وقد ذكَر الرسول ﷺ في هذا الحديث "نصف تمرة" تحريضاً على الإكثار من الصدقات ولو كان شيئاً حقيراً في نظرك، وذلك لأن الصدقة تتضاعف عند الله، ولا تقِف عند القدر الذي أنفقْتَه، أنت تنفق تمرة لكنها عند الله تصير مثل الجبل، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

وذكَر أدنى شيءٍ تنبيهاً إلى ما فوقه من باب أولى، فالمراد أنْ يُنفِق المرء قدر ما يستطيع، فلا ينبغي أن يتصدَّق الغني بنصف تمرة فقط، ولكن المراد أن ينفق كل امرئ وُسْعَهُ، فإنْ لم يجد شيئاً يُنفِقه فلْيُنفق نصف تمرة، فإنْ لم يجِدها فبكلمة طيبة كما سيأتي.

وخَصّ الرسول ﷺ الصدقة بالذِّكر؛ لأن الصدقة من أعظم ما يقي من النار، أي من أعظم ما يُنَجّي منها إذا دخلها، أو استحقّ دخولها.

ولذلك أرشدَ النبي ﷺ النساءَ في خطبة عيد أن يتصدَّقن لأنهن أكثر أهل النار. وأرشدَ من لم تجد ما تتصدق به أن تتصدق من حُلِيّها.

وكثيرٌ من النساء اليوم تملك المال، وتُسرفُ في إنفاقه في سفاسف الأمور، بل قد تُبَذِّره في معصية الله، ثم تبخل عند الصدقة، والله عز وجل يقول:

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[2]

والكلام يتناول الرجال أيضاً بلا شك.

1- أخرجه مسلم (١٣٧).

2- [محمد: ٣٨]

الصدقة ثوابها عظيم عند الله لأنها دليل على صدق الإيمان، وبرهان على صدق الإيمان، قال ﷺ: "والصدقة برهان"[1]،

فالصدقة تصدّق صاحبها أي تبرهن أنه صادق الإيمان، لذلك سميت صدقة.

والصدقة ثوابها عظيم عند الله لأنها نوع إحسانٍ إلى الخَلق، فالإحسان إلى الخَلق بابٌ عظيم يحبه الله ويرضاه، ويشمل الإحسان بالمال والجاه والبدن، وبكَفِّ الأذى عن الناس واحتماله منهم والنصح لهم وعدم غشهم، وإرشادهم إلى كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فقد جعل النبي ﷺ كل إحسان صدقة، فقال ﷺ: "كل معروف صدقة"[2]

وذكر أموراً يغفل الناس عنها:

ذكر الابتسامة في وجه أخيك تقرّباً إلى الله، والملاطفة في الكلام، تدخل السرور على قلبه، تحمل متاعه على دابّته صدقة، بل قال تُفْرِغ من دلوك في إناء المُستَسقي صدقة.. وغير ذلك الكثير من محاسن الأخلاق..

فإنّ الدين قائم على عبادة الله وحده، وعلى الإحسان إلى الخَلق تقرّباً إلى الله، ألا ترى أنّ الزكاة؛ وهي ركنٌ من أركان الإسلام، نوع إحسان إلى الخَلق؟!

فمَن عبَدَ الله واجتهدَ في ذلك، ثم أساء إلى الخَلق فقد عرَّض نفسه لولوج النار، نعوذ بالله منها.

فإنْ عجَزْتَ أن تنفع الناس بمالك، فلا أقَلّ من أن تتصدَّق عليهم بكلمة طيبة.

◈ لذلك قال ﷺ: "ولو بكلمة طيبة":

فأرشَدَ الفقيرَ المُعدَم، أو الواجِد البخيل إلى ما يساوي الصدقة في الفضل، وقد يفوقها في الثواب؛ وهي الكلمة الطيبة.

دلَّنا على الكلمة الطيبة، وهذا من جوامع كلامه ﷺ، فإنّ "الكلمة الطيبة" تشمل الكلام اللّيّن اللطيف مع الناس، وتشمل كلمة الحق، وتشمل القرآن وذِكر الله، وتشمل قول (لا إله إلا الله).. كل ذلك من الكلمة الطيبة، كما سمّاها الله في القرآن. فالكلمة الطيبة من الإيمان، ولا تخرج إلا

1- مسلم (٢٢٣).

2- البخاري(٦٠٢١)، مسلم (١٠٠٥).

من الطيبين، كما قال تعالى: ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾[1] أي الكلمات الطيبات مختصة بالطيبين، هذا أرجح الأقوال في تفسيرها واختاره الطبري في تفسيره.

فيدخل في الكلمة الطيبة: تلاوة القرآن، وذِكر الله، والدعاء، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيدخل في هذه الجملة كل كلام الخير من واجب ومندوب، ولذلك قرَنَها الرسول ﷺ بالصدقات، كما في هذا الحديث وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: "أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ"،...)[2]

وفي حديث أبي ذر قال: "أَوَليس قد جعل الله لكم مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ."[3]

فدَلَّهم على ما يفوق الصدقة في الثواب، وهو ذِكر الله، فإن ذِكر الله من أطيب الكلام.

فأرشَدَ الرسول ﷺ في هذا الحديث إلى ثلاثة أبواب جامعة من الخير تستُر العبدَ من النار؛ أرشَدَ إلى:

- التحذير من الظلم ولو في شِقّ تمرة فما فوقها، ومفهومه الأمر بالعدل.
- وإلى التحريض على الصدقة ولو في شِقّ تمرة، فما فوقها أفضل من باب أولى، ومفهومه التحذير من البخل.

1- [النور: ٢٦]

2- البخاري (٨٤٣، ٦٣٢٩)، مسلم (٥٩٥).

3- مسلم (١٠٠٦).

• وأرشد إلى التحريض على الكلمة الطيبة فإنها صدقة، والتحذير من الكلمة الخبيثة. فإنّ الكلمة الطيبة تَقي من النار وتستوجب الجنة، والكلمة الخبيثة تستوجب النار.

وهذه الثلاثة من الإحسان الذي أمَر اللهُ به بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[1]

هذه الآية من سورة النحل تشمل ما تَقدَّم كله وتزيد عليه كثيراً، لأنه في الآية أطلَق العدل، وأطلَق الإحسان. وفي الحديث قيَّد العدل مع الخَلق والإحسان مع الخَلق.

هذا والله تعالى أعلم

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

1- [النحل: ٩٠]

أسئلة الدرس الحادي والثلاثين

السؤال الأول: الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو:

أ- "اعتقاد وقول وعمل".

ب- "اعتقاد وقول وعمل ولا يزيد ولا ينقص".

ج- "اعتقاد وقول ولا يزيد ولا ينقص".

د- "اعتقاد وقول وعمل ويزيد وينقص".

الجواب: (د).

السؤال الثاني: يستفاد من قوله ﷺ «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شعبة**» أن:

أ- أن الإيمان يزيد وينقص.

ب- أن الإيمان شعب وأجزاء كثيرة.

ج- كل ما ذكر.

د- أن الإيمان جزء واحد.

الجواب: (ج).

السؤال الثالث: يستفاد من قوله ﷺ: "**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**":

أ- أن الإيمان يتفاضل.

ب- أن الإيمان يزيد وينقص.

ج- أن الاعتقاد والقول من الإيمان

د- كل ما ذكر.

الجواب: (د).

السؤال الرابع: يستفاد من قوله ﷺ: "**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**":

أ- أن العمل من الإيمان.

ب- أن الإيمان يزيد وينقص.

ج- كل ما ذكر.

د- أن الاعتقاد من الإيمان.

الجواب: (ج).

السؤال الخامس: في قوله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**»، كلمة (الْإِيمَان) في هذا الحديث تعني:

أ- الأعمال الباطنة. ب- التصديق.

ج- الإسلام والإيمان. د- كل ما ذكر.

الجواب: (ج).

[تنبيه]:[هذا الجواب مبني على قاعدة الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت].

السؤال السادس: "**بِضْع**" بكسر الباء معناها القطعة من الشيء.

الجواب: (خطأ).

السؤال السابع: رجل صدق بقلبه أنه لا إله إلا الله، وأبى أن يقولها بلسانه وهو قادر على قولها، فهذا الرجل:

أ- مؤمن ناقص الإيمان. ب- كافر كفرا أكبر. ج- مشرك شركا أصغر. د- منافق نفاقا أصغر.

الجواب: (ب).

السؤال الثامن: رجل صدق بقلبه بلا إله إلا الله، وقالها بلسانه، ولم يعمل بمقتضاها؛ أي فعل ما ينقضها. فحكمه أنه: -

أ- مؤمن. ب- منافق.

ج- مشرك شركا أكبر.

د- مشرك شركا أصغر.

الجواب: (ج).

[تنبيه]: [هذا السؤال يوضح معنى أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن العمل يعني أن يعمل بمقتضى الإيمان وألا يناقضه في شيء].

السؤال التاسع: "**لا إله إلا الله**" معناها:

أ- لا معبود حق إلا الله.

ب- لا معبود إلا الله.

ج- لا خالق إلا الله.

د- لا حاكم إلا الله.

الجواب: (أ).

السؤال العاشر: استفدنا من قوله ﷺ: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»:

أ- أن الاعتقاد من الإيمان.

ب- أن الإيمان يزيد وينقص،

ج- كل ما ذكر.

د- لا شيء مما ذكر.

الحواب: (ج).

السؤال الحادي عشر: استفدنا من قوله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ**»:

أ- إثبات صفة الكلام لله.

ب- إثبات العرض على الله يوم القيامة.

ج- كل ما ذكر.

د- إثبات رؤية الله يوم القيامة.

الجواب: (ج).

السؤال الثاني عشر: يلزم من قوله «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ**» إثبات الرؤية.

الجواب: (خطأ).

السؤال الثالث عشر: يلزم من قوله «...، ولا حجاب يحجبه» إثبات الرؤية.

الجواب: (صح)

السؤال الرابع عشر: قوله: «**فَاتَّقُوا النَّارَوَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة**» معناه:

أ- تصدقوا ولو بنصف تمرة.

ب- اتقوا الظلم ولو كان في نصف تمرة.

ج- كل ما ذكر.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (ج).

... والحمد لله على فضله...